Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

دراسة سوسيو-أنثروبولوجية لتمثلات المرأة بتوظيف المثل الشعبي الجزائري

Socio-Anthropological Study of Woman Representations by Applying the Algerian Folk Proverb

يمينة ناضر 1 Yamina Nader، أمينة مساك 2 Amina Messak

1 جامعة البليدة 2- علي لونيسي (الجزائر)، Ali Lounici- Blida 2 University (Algeria) ey.nader@univ-blida2.dz

2 جامعة البليدة 2- علي لونيسي (الجزائر)، Ali Lounici- Blida 2 University (Algeria) minamessk@outlook.fr

المؤلف المرسل: يمينة ناضر Yamina Nader الإيميل: ey.nader@univ-blida2.dz

تاريخ الاستلام : 2020-11-30 **تاريخ القبول :** 2021-04-13

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على التمثلات المقدمة عن المرأة من خلال الأمثال الشعبية الجزائرية والكشف عن أنواع هذه التمثلات التي تشملها المرأة عبر مراحل حياتها من خلال الأمثال الشعبية. ومن النتائج المتوصل إليها، أن الأمثال الشعبية قدمت تمثلات سلبية للمرأة بشكل لافت للنظر، لا توشك أن تفارقها، في كل سنوات ومراحل عمرها، وفي مختلف أدوارها (بنت، زوجة، أم، عقيم، زوجة أب، عانس، عجوز...)، وجوانب حياتها، (الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية...)، بينما الأمثال الشعبية التي قدمت تمثلات ايجابية، فلم تشغل إلاّ مكانا محدودا، خاصة عند تمثلها لدور الأم.

كلمات مفتاحية: تمثلات، أمثال شعبية جزائرية، مرأة.

Abstract :

This study aimed, through Algerian folk proverbs, to identify the representations presented about woman and to disclose them depending on her age. Main results include that folk proverbs presented, noteworthily, negative representations of woman which are concomitant with all phases of her life and in various roles (girl, wife, mother, infertile, stepmother, spinster, old lady...), and also in distinct aspects: social, economic, cultural,...While those presenting positive representations did occupy a narrow field, especially when they depicted the role of mother.

Keywords: Representation, Algerian folk proverbs, Woman.

1. مقدمة:

تكمن أهمية دراسة الأمثال الشعبية، كونها من نتاج الجماعة الشعبية وأنها تحمل وتصف مواقف هذه الجماعة لكثير من الأمور والقضايا التي يتلقاها ويصادفها الإنسان في حياته اليومية – فهي عصارة خبرات وتجارب الشعوب – في أنها وسيلة لكشف شكل ونوعية وطبيعة المواقف والأمور التي تعرضت لها الجماعة الشعبية عبر الزمن. وبالتالي، فإنها تكشف عن التصورات الفكرية والحقائق والأحداث التاريخية للجماعة، ومعرفة نقاط فشل ونجاح تلك الشعوب السالفة واستغلال ذلك في تحقيق التنمية.

ومن هنا تعتبر الأمثال الشعبية من أهم عناصر التراث الشعبي، ولقد حظيت بعدة دراسات واهتمامات من قبل باحثي علم الاجتماع والفلكلور والأنثروبولوجيا، نظرا لثراء مادتها وارتباطها بالقيم الفنية والجمالية التي يعكسها الوجدان الشعبي والإبداع الجمعي. فعن طريقها استطاع الإنسان أن ينقل أفكاره ومعتقداته وتصوراته وعاداته وخبراته في الحياة، ويقدمها في شكل قول موجز محكم البناء. ومن هذا المنطلق فهي تعكس أفكار المجتمع واتجاهاته، و تكشف عن نظرته لدور كل من المرأة والرجل في واقع الحياة، مما يبرز مكانة كل منهما في إطار ما تفصح به هذه الأمثال الشعبية عن المكونات اللاواعية في حياة الشعوب، قصد التقويم والتوجيه بما يؤدي إلى التوافق في مجال الحياة العامة. فماهي مكانة المرأة الجزائرية من خلال تمثل الأمثال الشعبية لها في مختلف مراحل حياتها؟ مما يبين أن إشكالية هذه الدراسة تبحث في التمثلات التي يمكن أن يقدمها المثل الشعبي الجزائري عن المرأة داخل المجتمع، وكيف يقوم المخيال الشعبي، بصياغة هذه التصورات حول المرأة داخل المجتمع فنيّا، والتي تكشف عن نسبة من الوعي الجمعي السائد لدى المجتمع الجزائري، مهتمة بكل الجوانب المكونة لشخصيتها، ملتزمة ومتصلة بالبعد الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والفكري.

ISSN: 1112- 9751 / EISSN: 2253-0363 مجلد 13 عدد 2 أفريل 2021 السنة الثالثة عشر

ومن هنا، تطرح إشكالية الدراسة التساؤل حول دور الأمثال الشعبية الجزائرية في رسم التمثلات الاجتماعية للمرأة بمنطقة تيسمسيلت (كميدان للدراسة) و أطروحة التمثلات التي تشملها المرأة عبر مراحل حياتها من خلال الأمثال الشعبية الجزائرية.

منحت هذه الدراسة الباحثين في العلوم الاجتماعية عموما، والأنثروبولوجيا على وجه خاص، الاهتمام بالأمثال الشعبية، كونها تعتبر المرآة التي تعكس حياة المجتمعات، فمن خلالها يتم الكشف عن عاداتهم وتقاليدهم ونظمهم ومعاملاتهم بما يكفل الإجابة على التساؤل حول مكانه المرأة ونظرة المجتمع إليها. وبهذا فهي تهدف إلى:

- إلقاء الضوء على بعض ملامح كل من البيئة الاجتماعية والثقافية والطبيعية الجزائرية وتفاعلاتها مع المرأة كبنت، وأخت، وزوجة، وأم.
- الكشف عن تمثلات المرأة الجزائرية في الأمثال الشعبية بمنطقة تيسمسيلت.

وللإجابة على هذه التساؤلات تمّ صياغة الفرضيتين التاليتين:

- تبني الأمثال الشعبية بمنطقة تسيمسيلت تمثلات اجتماعية سلبية حول المرأة الجزائرية.
- يشمل تمثّل المرأة الجزائرية في الأمثال الشعبية كل مرحلة من مراحل حياتها.

فالبحث في التمثلات الاجتماعية للمرأة من خلال الأمثال الشعبية، يكشف مكانتها ووضعيتها وطبيعة العلاقات التي تربطها بمختلف جوانب الحياة الاجتماعية، الاقتصادية، والثقافية. وهذا يعكس واقعها الحقيقي داخل الوسط الاجتماعي والثقافي، أو الواقع الوهمي المتمثل في البناء المعرفي لدى الفرد من أفكار وأنماط وآراء. هذا ما سيحاول هذا المقال مقاربته من خلال تحليل مضمون تمثلات المرأة في الأمثال الشعبية.

2. تحديد مفاهيم الدراسة

1.2 التمثلات الاجتماعية:

يعود استخدام "التمثل الاجتماعي"، باعتباره مفهوما تحليليا، إلى عالم الاجتماع الفرنسي إيميل دوركهايم Emile Durkheim في القرن التاسع عشر (سهيل الحبيب، 2017، ص18)، حيث طرحه لأول مرة، للإشارة إلى واحدة من "الحقائق الاجتماعية"، التي يعنى بها علم الاجتماع وهي: المعتقدات، والأفكار والقيم والرموز، والتوقعات التي تشكل طرق التفكير والشعور والتي تتسم بالعمومية والديمومة ضمن مجتمع ما، أو مجموعة اجتماعية ما، والتي تتشاركها باعتبارها خاصية جماعية لها. (جون سكوت، 2009، ص122)

وعليه، حدّد دوركهايم التمثلات، انطلاقا من منظور اجتماعي بحت، حيث ارتأى أنها عبارة عن تجمع أو نظام من القيم والمعايير والأفكار والممارسات الاجتماعية، التي لا تقبل الانصياع للذات الفردية، لأنها ذات طابع جمعي. وفي نفس الوقت يكون الفرد خاضعا لها رغما عنه. وهي تتيح له القيادة بنفسه في عالمه الاجتماعي والمادي الملموس، كما تسمح بإنشاء اتصالات بين أفراد المجتمع عن طريق تجهيزه برموز التبادل الاجتماعي التي تسمي وتصنف الجوانب المختلفة لعالمه.

أما سارج موسكوفيتشي Serge Moscovici فيعرّف التمثلات الاجتماعية ، باعتبارها ظاهرة، على أنها توجد على أشكال متنوعة، كصور معقدة نوعا ما، والتي تشكل مجموعة من المعاني والرموز، ونظامًا مرجعيا يتيح لنا اعتراض ما يحدث لنا، من أجل فهمه. فهي فئات غير متوقعة، تعمل على تصنيف الظروف والظواهر والأفراد الذين نتعامل معهم، و كذا النظريات التي تسمح بالتأثير على هؤلاء الأفراد. فالتمثلات طريقة لتفسير العالم والتفكير في واقعنا اليومي، وشكل من أشكال المعرفة الاجتماعية التي يبنيها الفرد بوعي انطلاقا مما هي عليه، أو مما كانت عليه و ما تصبو إليه و التي تقود تصرفه. وبشكل متزامن تصبح التمثلات هي النشاط الذهني الذي ينشره الأفراد والجماعات في ترسيخ مواقفهم بالنسبة للمواقف والأحداث والأشياء والاتصالات التي تتعلق بهم (ص. 366 ,Moscovici, S., 1976).

2.2 الأمثال الشعبية:

يعرّفها برونيسلو مالينوسكي Bronisław Malinowski على أنها "حِكم وقصص، وانتقاد لاذع للحياة، وتعبير شعبي يعكس الخلفية التاريخية، وخبرة الإنسان التي اكتسبها من خلال ممارسة الحياة نفسها. وهي خبرة أدركها من خلال عملية إدراكية جمعية، تخرج به من إطار التجربة الذاتية إلى مجال الخبرة الجماعية التي تعبر عن فكر ووجدان جمعي" (حسين عبد الحميد أحمد رشوان، 1993، ص41).

وعرّف المرزوقي في كتابه "شرح الفصيح" المثل على أنه "جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها فتتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنقل عمّا وردت فيه، إلى كلّ ما يصحّ قصده بها، من غير تغيير يلحقها في لفظها وعمّا يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها" (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، 1987، ص7).

أما لفظ "شعبي" فهو مشتق من كلمة "شعب" ... جاء في لسان العرب أن الشعب هو ما تشعّب من قبائل العرب ... والشُّعَب: القبائل. وحكى ابن الكلبى عن أبيه، الشعب أكبر من

ISSN: 1112- 9751 / EISSN: 2253-0363 مجلد 13 عدد 2 أفريل 2021 السنة الثالثة عشر

القبيلة، ثم الفصيلة، ثم العمارة، ثم البطن، ثم الفخذ ... قال الشيخ ابن برى ... الصحيح في هذا ما رتبه الزبير بن بكار وهو الشعب، ثم القبيلة، ثم العمارة، ثم البطن، ثم الفخذ، ثم الفصيلة ...قال أبو أسامة هذه الطبقات على ترتيب خلق الإنسان ... فالشعب أعظمها مشتق من شعب الرأس ثم القبيلة من قبيلة الرأس لاجتماعها ثم العمارة وهي الصدر ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة وهي الساق (محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، 1987، ص2270).

فالشعب إذن، هو مجموعة من الناس تختلف طوائفهم وطبقاتهم مجتمعين أو متفرقين. وبما أن الشعب هو القبيلة العظيمة أو مجموعة من القبائل وبكونه أكبر هذه الأقسام السابقة، فهو كما في مدلول كلمة "تشعب"، أي تفرّق وتباعد وانتشر وتوزع، فإن أول معاني الشعبية هو الانتشار.

وبكون الشعوب تمتد في تاريخها إلى جذور عميقة متناهية في القدم، لذا، فإن المعنى الثاني للشعبية هو الخلود.

ومن ثَمّ، فإن نعت "شعبي" عندما يوصف به أي موصوف، فلابد وأن يتسم هذا الشيء بالانتشار أولا، ثم الخلود ثانيا (مرسي الصباغ، 1999،ص3)، أي الانتشار، والتوزع، والتباعد المكاني والزمني (مرسي الصباغ، 2001، ص24).

ومن أنواع الأمثال، فيمكن تقسيمه، بصورة عامة، إلى ثلاثة أنواع:

1.2.2 المثل السائر:

هو ما ينبثق عن تجربة شعبية بلا تكلف، بحيث يمليه الواقع في الحياة، فيستعمله كل من يمر بنفس التجربة، تعبيرا عن موقفه في مناسبة معينة، أو إبرازا لفكرة أو شعور يمتلكانه. ولا يقتصر ضرب المثل السائر على التجربة الشعبية، بل قد يأتي به أهل العلم والمعرفة.

2.2.2 المثل القياسي:

وهو سرد وصفي أو قصصي، أو صورة بيانية لتوضيح فكرة معينة عن طريق التشبيه والتمثيل، ويسميه البلاغيون: التمثيل المركب، أو التشبيه المتعدد.

ويكون هذا النوع من أجل تشبيه شيء بشيء آخر، لتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر. أو قد يكون من أجل التأديب والتهذيب، أو للتوضيح والتصوير، أو التوضيح بحيث يكون فيه إطناب ويجمع ما بين عمق الفكرة وجمال التصوير، ومن قبيل هذا، القول القرآني ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (سورة النحل، الآية 112).

3.2.2 المثل الخرافي:

وهو ما تنسب فيه أفعال البشر إلى حيوان أو كائن خارق. ويكون هدفه تعليميا أو عظة أو تحذيرا، وما شابه...، ولذلك يأتي على شكل قصص خيالية أو فرضيات، أو على شكل خرافات وأوهام، كما هو الحال مثلا في كتاب"كليلة ودمنة" لابن المقفع، وغيره من المؤلفات التي استبدلت أشخاصها الآدميين بمخلوقات أخرى، ولكنها كانت تمثل بهذه المخلوقات للدلالة على ما قد يصادف الإنسان في حياته من قضايا وأحداث تهمه، ويعتقد أنها مؤثرة على وجوده.

3.2 الأمثال الشعبية الجزائرية:

نشأت الأمثال الشعبية الجزائرية كغيرها من الأمثال لدى الشعوب أساسا لتعبر عن التجارب والمواقف العملية التي تولدت في أغلبها من حالات فردية، اختلفت زمانا ومكانا، وتنوعت بتنوع الحياة نفسها. كما أنها تعكس حياة شعب، له قيمه وتجاربه التي حافظ عليها، عن طريق رصد ثقافته، على اختلاف أشكالها، بطرق تضمن بقاءها، والتي من بينها المثل، والذي يؤدى بصيغتين:

إحداهما الصيغة العامية القريبة من العربية الفصحى. فعن طريق اللهجة ينطق العامي المثل متحررا من قيود التقاليد النحوية التي تفرضها اللغة الأم، ويمكن بسهولة إخضاع المثل لقواعد اللغة الفصيحة.

والصيغة الثانية هي صيغة عامية تختلف عن العربية في بعض المسميات وتتفق معها في بناء الجملة، وبعبارة أخرى لا يمنع من العودة بها إلى الضوابط النحوية. وهذه العامية ثلاثة أنواع مختلفة فيما بينها في مجال نطق الأصوات وتتفق في سيرها على نظام الجملة العربية. وهي ذات أصول أمازيغية كالشاوية والقبائلية، ولغة سكان الجنوب الجزائري. ورغم ما يبدو من تعددها، فإنها ذات مضامين متقاربة ماعدا ما تعلق منها بالبيئة، وتتحد كلها في أنها تعبر عن قيم هي نفسها القيم التي يعبر عنها الدين الإسلامي. انطلاقا من أن ثقافة الشعوب تدور حول معتقداتها، وتكيّف حياتها وفقا لكثير من تعاليمه خاصة في المجال الأخلاقي.

أما منشأ المثل منذ القدم فيكون من قِبل أفراد المجتمع، على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية، ممن توفر لهم معايشة التجارب، وكانت لهم القدرة على الملاحظة ثمّ التعبير (محمد عيلان،2013، ص89).

4.2 المرأة الجزائرية:

ISSN: 1112- 9751 / EISSN: 2253-0363 مجلد 13 عدد 2 أفريل 2021 السنة الثالثة عشر

ظلت الأنوثة إلى زمن قريب في البيئة الجزائرية عنوانا للضعف. والبعد النفسي الذي يكتنف هذه النظرة هو بعد أنثروبولوجي، إذ أن التطور الذي خضعت له الإنسانية قد رسّخ التمايزات بين الذكر والأنثى على أساس جسدي، كما أن ملابسات الحياة نفسها قد أهّلت الطرفين لأعباء فيها تباين واختلاف، فالرّقة التي تلازم طبيعة الأنثى تكفل لها من السماحة ما ترعى به وليدها الذي يكون في أوج صورة الضعف، توازيها غلظة الذكر وقدرته على البذل العضلي. (عشراتي سليمان، 2009،ص248)

كانت المرأة في المجتمع الجزائري مثالا للصمود والمقاومة، عماد الأسرة ومرجعا للوطنية حافظت على الانتماء الحضاري للمجتمع عقيدة وسلوكا، وبَلَّغت ذلك الانتماء للأبناء والأحفاد عن طريق التربية بواسطة الحكايات والأساطير الملحمية والقصص الشعبية عن بطولات الأجداد للإبقاء على جذوة المقاومة. في أحضانها، نشأ وترعرع الأبطال من الشهداء والمجاهدين، أبطال الحرية والمدافعين عن الكرامة والهوية. (عبد القادر خليفي، 2004، ص25)

لقد كانت الحرب فرصة لتعبّر المرأة الجزائرية عن نفسها بصورة راسخة تثبت قوتها للمستعمر، وللرّجل في الوقت نفسه، وأبرزت الثورة المسلحة صورة المرأة المحاربة والمناضلة والمشاركة، فكان حضورها هذا دليلا بارزا على التّحول الاجتماعي الذي وقع في المجتمع وفرض مساهمة كل فرد في محاربة الاستعمار مهما كان جنسه، أو عمره...

5.2 التعريف بميدان الدراسة

تم اعتماد الدراسة في ولاية تيسمسيلت والتي تأخذ الرقم 38 في التقسيم الإداري. وهي تسمية من أصل بربري مركبة من كلمتين، الأولى، "تيسم"، وتعني غروب، والثانية، "سيلت"، ومعناها الشمس، أي مكان غروب الشمس، أو: "هنا غروب الشمس". تقع تيسمسيلت بشمال الهضاب العليا وتتربع على مساحة تقدر بـ 3 151,37 كلم^2، يقطنها حوالي 910 299 نسمة، بكثافة 95 نسمة/كلم^2، يحدّها من الشمال ولايتي الشلف وعين الدفلى، وشرقا ولاية المدية وغربا ولاية غليزان ومن الجنوب ولايتي الجلفة وتيارت. (عبد القادر دحدوح، 2009، ص15)

3. المرأة في المجتمع والأمثال الشعبية

1.3 دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية للمرأة:

للأسرة دور كبير في تنشئة البنت وتشكيل شخصيتها، وللأم أكبر دور في صقلها لميزات التطبيع الاجتماعي، كونها أول من يقوم بتربية ورعاية البنت، نفسيا واجتماعيا. كما يؤثر الأب وأفراد الأسرة والجماعات الاجتماعية على تكيفها الاجتماعي وصياغة العادات والتقاليد والقيم والمعتقدات والاتجاهات والأعراف، و"العرف أو كما يطلق عليه في الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية، القانون العرفي المتفق عليه في الجماعة، هو نظام اجتماعي غير مكتوب، يتكون من المعتقدات والأفكار المستمدة من فكر الجماعة وتراثها وعقيدتها، ويتمثل في معايير اجتماعية تحدد الأفعال المرغوبة وغير المرغوبة، والسلوك الصحيح والخطأ بالنسبة لثقافة المجتمع. ويحدّد العرف بالعلاقات ما هو جائز وغير جائز، كما يحدد في كثير من الأحيان نوعية العقوبات التي يمكن أن تحدث للفرد من جراء تعديه على الأعراف". (محمد بن إبراهيم السيف، 2010، ص182)

فإعداد البنت وتنشئتها على القيم الشريفة والأخلاق الحميدة، لتصبح امرأة عظيمة وزوجة صالحة وأماً تربي النشء وتصنع الأجيال، بمثابة المهمة الصعبة التي تقع على عاتق الأسرة. ويضطلع التعليم أيضاً بمهمة تنشئة الفتاة، حيث تتلقى من المعلومات والعلوم والتربية والأخلاق ما يجعلها تنشأ على حسن السيرة والحياء، والود والعطف، وفعل الخير وحب الآخرين واحترامهم، ومساعدة المحتاجين، ورحمة الصغير ووقار الكبير.

2.3 إشكالية مكانة المرأة في المجتمع:

إن مكانة المرأة المتدنية ترتبط بتاريخ أنظمة الإنتاج التي مرّ بها المجتمع البشري، فمرحلة الصيد التي مرّ بها الإنسان، كان الأساس فيها القوة العضلية وما تنطوي عليه هذه العملية، لذلك كانت البداية لظهور النظام الأبوي الذي تخلت فيه المرأة عن حقوقها الاجتماعية مقابل الحصول على فوائد اقتصادية. وفي هذه المرحلة أصبحت المرأة لا توفر سوى احتياجات البيت، أي أنها أصبحت ذات دور هامشي في عملية الإنتاج، وعليه كان عليها القبول بوضع متدني في النظام العائلي. من هنا نشأت سلطة الرجل على المرأة ونشأت العائلة الأبوية، أي أنه ربط مكانة المرأة بدورها في عملية الإنتاج في النظام التاريخي، وهو اتجاه يتبناه التحليل الأنثروبولوجي في مراحل تطور المجتمع البشري، إلى نظام الزراعة، الذي ساعد على تحول السلطة إلى المرأة. حيث فرض نظام الاقتصاد الزراعي مشاركة المرأة في العملية الإنتاجية كونها قادرة على المساهمة في هذا النظام الإنتاجي، ومن ثمة فهي تقوم بدور مزدوج داخل العائلة وخارجها، مما منحها سلطات إضافية أدت إلى تحول النظام العائلي من النظام الأبوي إلى النظام الأمومي، وهو النظام الذي ينتسب فيه الأبناء إلى الأم وليس إلى الأب. إلا أن هناك رواسب بقيت مسيطرة في النظام العائلي تمتد في جذورها إلى النظام السابق (الصيد)، وعلى أساسه، بقيت المرأة تعاني من عقدة الاضطهاد من قبل الرجل. (ضامر وليد عبد الرحمن،2009،ص10)

3.3 المرأة في الأمثال الشعبية:

لا يمكن تحليل الأمثال الشعبية المتعلقة بالمرأة بعيدا عن المصدرين الديني والخرافي كمنبع، منه يختار صانع المثل الأدوات والآليات التي تتلاءم ونزعته المتأثرة بالوسط الاجتماعي الذي تربى فيه، وتمثل تقاليده وقيمه وأعرافه، والتنظيمات الاقتصادية والظروف التي عاشها، ليصوغ أمثالا في قالب دقيق، محكم، معبّر، مقصود ومحدد كإبداع ثقافي إنساني، وكمحاولة فكرية تقوم بدور رئيسي في تكوين الثقافة الشعبية، سيّما وأنّ لكل نظام اقتصادي سياسي منظومة معارفه الاجتماعية.

ولا تتوقف وظيفة الأمثال الشعبية عند رسم معالم الحياة الاجتماعية، ورصد أنماط السلوك الإنساني، بل تتعداه إلى تقديم نموذج يقتدى به. ولكون المرأة محور الحياة في البيت، داخله و حتى خارجه، فقد تناولتها الأمثال في أدوارها المختلفة، انطلاقا من التهنئة بعيد ميلادها غير المرغوب فيه، سعيا إلى التخلص منها: "آمنكم الله عارها، وكفاكم مؤنتها، وصاهرتم قبرها". (خديجة صبار، 1999، ص49)

فلقد بينت وأبرزت الأمثال الشعبية منشأ المجتمع الذي مَثَّلها وأبرزها الذَكر المهيمِن، في قالب أو شكل محسوس ملموس، من خلال نظرته للمرأة التي لا كيان لها إلا من خلال اندماجها داخله. فالمرأة في رؤيته مجرد كائن تابع له ويمتلكه، لا يستطيع الحياة بدونه، حيث قدمت الأمثال الشعبية صورا سلبية للمرأة بشكل لافت للنظر، لا توشك مفارقتها، في كل سنوات عمرها، وفي مختلف أدوارها، (بنت، زوجة، أم، عقيم، عجوز...)، وجوانب حياتها، (الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية...)، بينما لم تشغل الأمثال الشعبية التي تقدم صورا ايجابية إلاّ مكانا محدودا. وسيبرز العنصر الموالي تمثل المرأة الجزائرية في مختلف مراحلها العمرية وفق ما توصلت إليه الدراسة من معطيات.....

4. تحليل النتائج

تمثلت المرأة من خلال الأمثال الشعبية الجزائرية في مختلف مراحل حياتها من منظور سوسيو-أنثروبولوجي كما يلي:

تمثل البنت الصغيرة:

هناك الكثير من الأمثال الشعبية الجزائرية التي يتعرض مضمونها إلى البنت، فقد كانت الثقافة الشعبية الجزائرية بارعة في قذف الأنثى ونسب كل الذنوب والعيوب إليها، حتى صار إنجاب البنات ملازما ومصاحبا للهم والغم، حيث تبدو علامات الحسرة والانكسار في ملامح الأب والأقارب، إذا ما أنجبت المرأة بنتا. وفي وقت ليس بالبعيد، كان يعتبر إنجاب البنات في المجتمع الجزائري بلاءً ينزل بالأسرة وعارا كبيرا، فيقول المثل: "البنت تجيب العار والعدو لباب الدار"، فهذا المثل يبين نظرة المجتمع للبنت، بأنها وصمة عار تلحق بالعائلة، وورطة تثقل كاهلها، والتي يجب حتى التخلص منها، ودليله ما جاء في هذا المثل: "لي ماتت بنتو من صفاوة نيتو"، وكذلك "موت البنات من المكرمات".

كل هذه الأمثال تؤول إلى استخلاص فكرة أن مثل هذا المجتمع مازال أسير العادات القديمة، التي كانت ترفض المرأة رفضا كلياً، والتي تضرب بجذورها إلى العصر الجاهلي، إذ يحكى أن عظيماً من عظماء العرب يدعى قيس بن عاصم قد سبيت ابنته في غارة شنتها عشيرة معادية على عشيرته، ثم عقد بين العشيرتين صلح كان من شروطه أن ترد السبايا مقابل فدية مالية. غير أن ابنة قيس هذا، آثرت البقاء عند من سباها، ولم تقبل الرجوع إلى أبيها وعشيرتها. فآلى أبوها على نفسه ليئدنّ كل بنت تولد له، وسارت عشيرته على سنته، واقتدت بها بعض العشائر الأخرى (علي عبد الواحد وافي، 2015)، كون المرأة تجلب العار والعدو إلى باب الدار.

فسالفا، في مجتمعنا، حينما قدمت قبائل عربية من جزيرة العرب وامتزجت بقبائل أمازيغية (أهالي المنطقة)، توارث الجميع ثقافات تمتد أصولها بالنسبة للقادمين العرب، إلى زمن ما قبل الإسلام، والتي ترسخت في الوعي الجمعي لدى أهالي المنطقة، حينما كان يحتل الولد مرتبة أحسن من مرتبة البنت التي كانت تتعرض للوأد، وسلبت منها جميع حقوقها، ونالت كل أشكال الظلم والاحتقار.

وقد ذمّ القرآن الكريم هذه الأفعال عند المشركين في العصر الجاهلي، المتمثِّلة في نبذ الأنثى وعدم الرضا بها، فكانوا يكرهون البنات وينبذون إنجابهن بشدة، وإذا رُزِقَ أحدُهم بنتا يَسْوَدُّ وجْهُه ويصبح حزينا مهموما، لقوله تعالى :﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (سورة النحل، الآيتان 58،59). وتبقى البنت حملا ثقيلا تعانيه الأسرة، تتكفل وتتحمل مسؤوليتها إلى الممات،كما هو الحال في هذان المثلان: "مول البنات رافد الهم للممات"، و"البنات هَمّ حتى للممات". وأمام كل هذا الإقصاء والنبذ لإنجاب البنات من طرف المجتمع، نجده بالمقابل يؤيد ويرحب بإنجاب الذكور، فيقول المثل: "كِي قالو لي وْلَد نْشَدْ ظَهْرِي واسْتَنَدْ وْكِي قالو لي بنْتْ نْهد الحَيْطْ عْلِيَا"، فالابن في المنظور الاجتماعي هو سند الأب والأم وهو الذي يحمل اسم الأب ويرعاه في كبره ويكون له معينا وعزوة، وسندا للأم ليخفف من مأساتها لأنها تكون مهددة بالطلاق في أي حين، أو زواج زوجها بامرأة أخرى

حتى يتحقق له إنجاب الذكر، أما البنت فلا عوز إلى إنجابها من الأساس.

ولازالت، إلى يومنا، تنطلق الزغاريد من شدّة الفرح لدى الناس، كلما أنجبت المرأة مولودا ذكرا أيّا كان، ودليل ذلك هذا المثل: "الولد فرحة لوكان قد القمحة"، والذي يدل كذلك على أنّ هذا المجتمع زراعي، لاستعمال لفظ حبة القمح في التعبير عن صغر الحجم، وهذا لأن منطقة الدراسة تشتهر بزراعة الحبوب وخاصة القمح حيث يعتبر أبرز الأنشطة الزراعية وأكثرها أهمية، ذلك لما يحققه جني المحصول من أمان مادي للفلاح ولأسرته.

أما بالنسبة لتربية البنات، فهناك تجسيد للعنف الممارس ضدها، لأنه كان يُنظر إليها على أنها دون الرجل في كل الأحوال، فكثيرا ما كان المجتمع الذكوري، الهاضم لحقوق المرأة، يمنع البنت من حقها في التعلم، وذلك نتيجة لإدراكه لأهمية التعليم في تقوية الشخصية، مما قد يمكنها من مواجهة أي قهر، فجاء هذا المثل ليدل على ذلك:"بنتك لا تعلمها حروف ولا تسكنها غروف". فالمجتمع هنا يخشى خروج البنت من البيت واستقلاليتها، والبنت الأمية في نظره أرحم، لأنه يسهل التعامل معها والسيطرة عليها، أما البنت المتعلمة، بعكس ذلك، فتكون قوية الشخصية وذات استقلالية مما يصعب السيطرة عليها. ولهذا، فالتعلم في نظر المجتمع يعتبر هاجسا وخطرا بالنسبة للبنت لأنه يشق طريق الانحراف والانحلال فالضياع. أما المثل القائل: "الدفة بالقفل والعاتق بالعقل"،... فمفاده أنّ المجتمع يرى بأن عقل الفتاة بمثابة القفل لباب البيت الذي من الواجب ستره كونه حرمة، والذي يملك مفتاحه ربّ البيت، كما هو الحال بالنسبة إلى العقل لدى الفتاة، فسوء التربية في المنظور الشعبي، يتمحور في تخلي الفتاة عن أعراف وتقاليد المجتمع، التي تملي وتوجب عليها القرّ والمكوث والثبات في البيت، ويدل على ذلك هذا المثل:"عاتق باب الجيسة تطُل على المريض وتهني النفيسة"، حيث يستهزئ من الفتاة التي تتخطى عتبة البيت فتخرج، حتى و لو لعيادة مريض أو تهنئة بمولود.

ويمنح المجتمع لتربية البنات أهمية كبيرة، وذلك تشفيا ونكاية في الأعداء والحساد حيث يقول المثل:"ربي بناتك تنكي حسادك". فاللازم في تربية البنت الشدّة والحرص، كما يؤكد هذا المثل القائل:"الطفلة حُكْها حك الحلفة إلا بقي منها شوية يلفى"، والذي نجد فيه ذِكر الغلظة في استعمال نبات الحلفاء، مِثله مثل الشدّة في تربية البنت، أثناء عملية التسبات، والتي هي خطوة من خطوات تحضير الحلفاء من أجل صناعة أواني ومنتوجات الحلفاء التقليدية، حيث يؤتى بأوراق الحلفاء وتمسح بالإبرة مع عملية الضغط الجيد. وتيسمسيلت منطقة هضابية ينتشر بها نبات الحلفاء، وصناعة الحلفاء التقليدية بالمنطقة حرفة متوارثة عند الكثير من العائلات في المنطقة، فهذا المثل يصوغ تجانس أهالي المنطقة مع المحيط الذي يعيشون فيه.

على الرغم من أنّ كل هذه الأمثال الشعبية المذكورة آنفا، والتي تحتقر وتنبذ إنجاب البنات وتعتبرها وصمة عار تلحق بالعائلة، وورطة تثقل كاهلها وخطر يجب التخلص منه، إلاّ أنّ هناك، في المقابل، عدّة أمثال أخرى قد أنصفتها ونصرتها، فنظرت إلى البنت نظرة ايجابية، كما هو الشأن في هذا المثل:"دار البنات دار البركات"، و"بو لبنات مرزاق"، بمعنى أن البنات يجلبن البركة والرزق لوالدهن، وأمثال أخرى تقول: "لّي ما عندو بنات ما عرفوه باه مات"، و"الي ما عندو بنيه يموت وعلاتو خفيه"، فالبنت عطوفة وحنونة، حتى بعد مغادرتها إلى بيت الزوجية، تبقى وفية ومخلصة لوالديها تهتم بهما وترعاهما عند كبرهما. ومثل آخر يقول: "البنت هدية والولد بلية"، بمعنى أن البنت سهلة التربية والتقويم كونها لينة الطبع فهي بمثابة الهدية، عكس الولد الذي يكون عنيدا ومتمردا صعب الانصياع والتأديب حيث يتلقى الوالدين الكثير من المتاعب وربما المشاكل في تربيته.

تمثل الفتاة الشابة:

تكبر البنت الصغيرة وتصبح فتاة، لكنها لم تفلت بعد من ظلم وإهانة الأمثال الشعبية، فتصبح مصدر خوف وقلق لأنها المسؤولة عن الحفاظ على سمعة العائلة، والعائلة لا تحبذ بل تخاف من بقاء الفتاة في البيت، كما يشيد هذا المثل: "لفعى فدار ولا زوج خواتات فالدّار"، في حين يضيف هذا المثل أنه لا ينبغي أن تجتمع فتاتان في البيت، وذلك ممّا يزيد تشديد المراقبة والحرص من قبل أفراد العائلة، فيعمّ البيت المشاكل والقلق والانفعالات، لدرجة أنه يمكن تحمل وجود الأفعى السامّة وربمّا المميتة في البيت، ولا يمكن تحمل وجود البنات فيه. فيلجأ الأهل إلى تزويج الفتاة في سن مبكرة بحثا عن الستر ، حيث جاء في هذين المثلين: "البنت يا تزوجها يا تقبرها"، و"البنت يا تسترها يا تقبرها"، فمكان الفتاة إما عند زوجها وإما في قبرها. إذن مكانها دائما في البيت وخدمة الأهل، فلذلك لازالت الكثير من العائلات من أهالي المنطقة، تسعى دائما إلى التعجيل بتزويج الفتاة مبكرا عند وصولها سن البلوغ، وجاء في الأمثال ما يبين ذلك: "بَكَّرْ لْحاجْتكْ اقْضِيها وتْصَنَتْ للفَالْ، بنتك قْبْل الصُوّم عْطِيهَا قبل لاَ يكْثْرْ لْقِيل ولْقال"، ويعني قبل الصوم أي قبل البلوغ وهذا لأن الصيام يجب عند البلوغ، و"البنت كِيفْ العْصيدَة وينْ ما تبْرَدْ مَا يقَرَبْهَاشْ حَدْ"، وفي هذا المثل كذلك دعوة إلى تزويج الفتاة بمجرد نضجها أي بلوغها.

لمّا ترسخ في الوعي الجمعي لدى أفراد المجتمع اعتقاد بأن همّ البنات للممات، وسترهن يكون بزواجهن، اعتبروا الزواج المبكر ميزة حسنة ودرجة رفيعة فجعلت الأمثال الشعبية من

الزواج المصير الوحيد المقبول للفتاة، وأن بقاءها دون ارتباط يهدد شرفها وسمعة عائلتها، وهذا ما يذمه ويستهجنه المجتمع، فنجد الأب يقدم على تزويج ابنته في سن مبكرة تملصًا من المسؤولية، ولتخفيف عبئه المادي.

وقّرت الأمثال الشعبية للرجل دليلاً، يقتدي به عند اختيار الفتاة المناسبة للزواج بها، ويحذر من الاقتصار على المظهر والجمال الخارجي فقط، بل يجب ربط ذلك بالأخلاق والأفعال، فيقول هذا المثل:"لاَ يعجْبكْ نَوّارْ الدفْلَة داير الظْلاَيَلْ وَلاَ يعجْبكْ زينْ الطفلة حتى تْشوف الفْعَايلْ". ويشير المثل، في مجمله إلى الأساس الذي ينبغي أن يقوم عليه اختيار الزوجة، فينبغي عدم الأخذ بظاهر الأمور وسافلها، دون وعي ومعرفة بجوف وسريرة الأمور، فكما أن شجيرة الدفلة مستديمة الخضرة مزهرة، تسرّ الناظرين لجمالها وظلالها الوافرة، إلاّ أنها رغم ذلك شجرة سامة شديدة المرارة، فكذلك هو الشأن بالنسبة للفتاة قد تكون كشجيرة الدفلة في جمالها، لكن خصالها السيئة بمثابة الطعم المرّ والسم القاتل. وجاءت الأمثال الشعبية كذلك لتحث وتنصح الرجل على زواج الأقارب، كما تظهر هذه الأمثال: "خُوذ بنت عمك تصْبر على همّك"، "وندّي ولد عمّي ونتغطى بكُمّي"، "ونار القريب ولا جنة الغريب". وتضرب هذه الأمثال في مواقف يفضل فيه الزواج من بنت العم كونها ترضى بقلة المهر وبساطته، بل حتى سوء المسكن، الذي سيأويها، وقلة الأثاث و الفراش فيه لدرجة أنها قد تتغطى بلباسها (نتغطى بكمي)، لعدم توفر الغطاء، وكذلك من أجل توطيد العلاقات الأسرية وصلة الأرحام، أو من أجل الحفاظ على ثروة العائلة، وفي هذا الصدد، يذكر يوهان لودفيك بوركهارت Johann Ludwig Burckhardt أنّ: "كل العرب البدو يعترفون بحق الأولوية لابن العم الأول بالحصول على ابنة عمّه، بحيث أن والدها لا يستطيع إطلاقا أن يرفض هذا الزواج بشرط أن يدفع طالب الزواج سعرا معقولا، وأن هذا الثمن يظل أدنى كثيرا مما يتحتم على رجل أجنبي أن يدفعه، وهو غير مجبر على الزواج من ابنة عمه، إلا أن هذه الأخيرة لا تستطيع أبدا الزواج من أي شخص دون الحصول على إذن منه، وإذا سمح رجل ما، لابنة عمه الزواج من أجنبي أو كانت زوجته وطلقها، فيقول عادة (كانت حذائي وقد رميته)"، لدرجة أنه إذا سمح لفتاة الزواج من رجل غريب فإن ابن عمها يرتئي أنه يملك الحق الشرعي باختطافها عنوة وقسرا أثناء حفلة الزفاف، والأب الذي يوافق على تزويج ابنته لرجل غريب يتعرض للقتل من طرف ابن أخيه. (ادوار ويسترمارك، 2001،ص541)

إن هذه الأمثال تتنافى مع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف و توجيهات رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهمية الابتعاد عن الأقارب في اختيار الزوجة، حيث قال: "اغتربوا لا تضووا".(تضووا: تهزلوا)، ثم من أهداف الإسلام إقامة صلات بين المسلمين، وتأليف روابط جديدة بين أسر المسلمين، وفضلا عن تقوية النسل وتحسينه، حيث قرّر كثير من علماء الوراثة أن ضعف الذرية وانحطاط قدرتها العقلية يرجع في كثير من الأحيان إلى عامل الوراثة. وجميع الصفات والاستعدادات السيئة في الأصول تنتقل إلى الذرية والأقارب، وهذه الظاهرة تشاهد بشكل ملحوظ في أبناء الأسر المتعصبة اللذين لا يتزوجون من غيرهم. (عبد القادر قماز، 2007، ص45)

وفي مواقف مشابهة أخرى، تحذر الأمثال الشعبية من زواج الأقارب، كما هو الشأن في هذا المثل:"ادّي من الزريبة وما تدّيش القريبة"، فمعنى هذا المثل تزوج ممن يعملون في زريبة (حظيرة) المواشي النتنة والقذرة أحسن من أن تتزوج من الأقارب حتى لو كانوا ذوي جاه ونعمة، وجاء كذلك في المثل: "القريب ما تشاركوا ما تناسبوا"، وهذا لتجنب المشاكل والخلافات الأسرية التي قد تحدث بسبب تدخل الأهل في الشئون الخاصة بالزوجين.

تمثل المرأة العانس:

تشير الأمثال الشعبية إلى أنّ الأفضلية والأسبقية في حياة الفتاة هي الزواج، لهذا ترتكز تربية الفتاة على تدربها منذ طفولتها على تسيير شؤون البيت وتربية الأطفال، و لأجل إعدادها لتصير ربّة بيت وزوجة صالحة. فتبدأ الفتاة وأهلها، منذ بلوغها، وفي سن مبكرة، البحث عن الزوج، فجاء في هذا المثل:"الحرث بكري والزواج بكري"، وأمّا تأخر زواجها وبقائها في بيت والدها في المنظور الشعبي يجلب العار والفضيحة، فيقول المثل:"العاتق في الدار عار"، أما مثل آخر فيقول: "ضرستك إذا وجعاتك نَحِّهَا بكُلاَّبْ اللّي يكُون حْدِيدْ، وبنتك إذا كبرت اعطيها راهُو بلاها في الدار دِيمَا يزيدْ". فتظهر هذه الأمثال هاجس السمعة والشرف وخوف أهل الفتاة من خطر انحرافها ووقوعها في الخزي والفضيحة.

إنّ إهانة ونظرة الأمثال الشعبية للعانس، أو بالأحرى تعنيسها لأنه لا يوجد عمر محدد للزواج في الدين الإسلامي، فالسن في الزواج لم يقيد بحدّ معين لا في الكبر ولا في الصغر. وكتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه و سلم يدلان على ذلك، لأن فيهما الحث على الزواج دون تقييد بسن معينة، فليس لأحد أن يشرع غير ما شرع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم (عبد الرحمن بن سعد الشثري، 2010، ص105)، وقد ذمّ الله عزّوجل هذا الصنف من الناس بقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ (سورة الشورى، الآية 21)، فهو مرتبط بالاستطاعة والبلوغ. وهذا التركيز على عنوسة المرأة دون عنوسة الرجل، يعتبر بمثابة نوع من العنف والتعسف من طرف المجتمع الموجه للمرأة، فالرجل في المنظور الشعبي لا يعاب إذا

ISSN: 1112- 9751 / EISSN: 2253-0363 مجلد 13 عدد 2 أفريل 2021 السنة الثالثة عشر

تأخر زواجه، كما يقول هذا المثل: "الهمّ همّ العزبة أما العزري يتزوج غدوا".

لكن على الرغم من هذه النظرة المشينة للعانس، فهناك أمثال قدمت صورة تناقض هذه النظرة: "بنت الرّجَالْ إلا بارت على العمَايم دَارَتْ وِسيدْ الرْجالْ اختارَتْ"، و"العاتق إلا بارت على سَعْدهَا دَارَتْ". توحي مثل هذه الأمثال إلى أنه إذا حدث وتأخر زواج الفتاة، فسوف ترزق في النهاية بالزوج المناسب وتكون سعيدة في حياتها الزوجية. والعمايم جمع عمامة، وهي لباس تقليدي يشتهر أهالي المنطقة بلبسها، حيث أنها تلفّ على الرأس بإحكام مشكلة قبعة، تحافظ على شكلها ولو بعد نزعها من على الرأس، والمغزى من لبسها الوقاية من الحرّ والبرد، ومنطقة تيسمسيلت تتربع على مرتفعات سلسلة جبال الونشريس، فهي بذلك تمتاز بالبرد القارص في فصل الشتاء والحرّ الشديد في فصل الصيف.

وعلى النقيض من ذلك، هناك أمثال أخرى تبدي أن الفتاة تفضل حياة العنوسة والبقاء في بيت الوالدين على أن تندم على الزواج الخائب والخاذل، كما أتى في هذين المثلين: "قْعادْ السْلامَة وَلَا زْواجْ النْدَامَة"، و"بَاقْيَا في الدَّارْ وَلاَ زْواجْ العَارْ".

تمثل الزوجة:

الزواج سنة الله في خلقه، ورابطة اجتماعية متوارثة منذ الأزل، والهدف منه استمرار الجنس البشريّ وتعمير الأرض وبناء المجتمعات، وهو ليس بالأمر الهين، فيقول هذا المثل الشعبي: "زْوَاج لِيلَة تْدْبِيرو عَامْ"، ويقصد به أن الزواج مسئولية كبيرة ليست بالهينة يحتاج إلى مدة طويلة من التدبير والتفكير من أجل تحقيقه والتجهيز له ماديا ونفسيا، خاصةً مع ارتفاع تكاليفه، وهذا على الرغم من أن حفل الزفاف لا يدوم إلاّ ليلة أو بعض الليالي.

أما تمثل الزوجة في الأمثال الشعبية فيتحدد حتى قبل الزواج، فكما أشرنا سابقا، فإنّ الأمثال الشعبية وفّرت للرجل دليلاً، يقتدي به عند اختيار الزوجة المناسبة، ومن بين هذه المواصفات التي تنصح بها الأمثال الشعبية النسب والأصل، والمجتمع يولي أهمية كبيرة للنسب والأصل، ويؤكد على أن تكون الزوجة من سلالة طيبة حتى يؤمّن حسن أخلاقها وخصالها، كما أنّ الحفاظ على شرط كفاءة النسب في الزواج هو من العادات المتوارثة بين أهالي المنطقة والتي مازالوا يحافظون عليها ليومنا هذا، فالأشراف وهم الذين ينحدرون من ذرية فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم، لا يتزوجون إلا من نساء من نفس سلالتهم. وجاء ما يثبت ذلك في هذه الأمثال: "تزوج المرأة لي بجدودها ماشي لي بخدودها"، و"إلاّ تَتْزوج تزوج بنت الأصول ما يَجْبَرْ العْدُو مَا يقُول". وربما استمد المجتمع هذه الأهمية من الدين الإسلامي الذي حثّ على تخيّر الفرد لنسب ذريته المرأة الطيبة ذات الأصول المعروفة بالخير، لقوله صلى اللّه عيه وسلم:"تخيروا لنطفكم، فانكحوا الأكفاء، وانكحوا إليهم" (حسين محمد يوسف، 1979، ص13). وهناك مثل آخر يقول في هذا الصدد: "تزوج الأصيلة ونام على الحصيرة"، فيشير هذان المثلان إلى أن المرأة ذات الأصل والنسب الطيب تصبر على فقر زوجها، والنوم على الحصيرة فقط، دونما الفراش دلالة على العوز والاحتياج -وكما ذكرنا سابقا بأن المنطقة تشتهر بصناعة الحلفاء التقليدية- فصناعة الحصيرة التقليدية في المنطقة يعتبر من أقدم الصناعات، يعتمد فيها الحرفيون على نبات الحلفاء الذي ينمو بالمنطقة كونها منطقة جبلية، وهذا ما يؤكد تآلف أهالي المنطقة مع الطبيعة التي يعيشون وسطها.

وبعد زواج المرأة ودخولها بيت الزوجية، فإنّ نظرة الأمثال الشعبية لها مليئة بالتناقضات فهي مصدر للخير ومصدر للشر في الوقت نفسه، فحين تكون المرأة ايجابية فهي خير وتكون السبب في نجاح زوجها، وصلاح أولادها، وسعادة بيتها، وحين تكون سلبية فهي شرّ، وتسبب الحزن والأذى لزوجها، والفساد لأولادها والشتات لبيتها، كما جاء في هذا المثل الشعبي: "الخير مْرا والشر مْرا" أي أن مفتاح السعادة في يد المرأة إن أحسنت استعماله، وأن المرأة مصدر الحنان والخير والعطاء إن صلحت، وإن فسدت وانحرفت فإن مضار ذلك تصب على المجتمع بأكمله، يقول حافظ إبراهيم:

الأم مدرسة إذا أعددتها *** أعددت شعبا طيّب الأعراق

وجاء في مثل قديم: إن المرأة التي تهز المهد بيمينها تهز العالم بيسارها (رابح خدوسي، 2016، ص71). وهناك عدّة أمثال أخرى جاءت في هذا السياق تقدم نفس المعنى "الربح من لمرا والزلط من لمرا"، و"مْرا تعليك ومْرا تعرّيك"، "النسا هُما كَايَنْ لِي كِي لْعْسَل في القَرْجُومَة وكايَنْ لِي المُوت ولا هُوما" وفي مثل آخر.. "وكاين لي كي الحبة المسمومة"، "المرأة إذا شِيَّنَت الرَّاجل شَانْ وإلا زَيْنَاتُو زَانْ"، و"كان كِي السْبَعْ كي تزوج رْجَع ضْبَع"، إذن فالمرأة في المنظور الشعبي أساس كل شيء في حياة أسرتها.

ما يزال مجتمعنا مجتمعاً ذكوريا بامتياز، يفرض فيه الرجل سلطته على المرأة، فهو وليها ورقيبٌ عليها، يصحح كل ما تقترفه من خطأ. وهذه السلطة والهيمنة التي تحوي غالبا العنف ضد المرأة، هي في المنظور الاجتماعي إحدى ميزات و امتيازات الرجولة، كما يبين هذا المثل: "اللي ما يذبح شاتو وما يصَوطْ مراتو مُوتو خِيرْ من حياتو"، أي أن الضرب وأساليب الضغط (وحتى الظلم) المختلفة وكل العنف الذي يمارسه الرجل من أجل

تأديب زوجته وإعادتها إلى جادّة صوابها عند نشوزها ولو كانت مظلومة-فذلك لا يهم، فدائما هي المدانة- فما هو إلا لتأكيد رجولته و تفوقه ويخلط العديد من الرجال بين مفهوم القوامة الفعلي المذكور في القرآن الكريم ومفهومها الذي أُنشئوا عليه من خلال العادات والأعراف فأخذوا ما يناسبهم لفرض هيمنتهم وتنفيذ سلطتهم باعتبارهم أوصياء عليها. وهناك أمثال أخرى تدعم هذا وتقدم نصائح للرجال مثل: " المْرا كي الزَرْبِيَّة مَرّة على مرّة تَتَنْفَضْ"، و" اضْرُبْ المْرا بالمرا يا ولد المرا". وربما كانت هذه التفسيرات مستمدة من الفكر الديني كذلك، لأن القرآن الكريم اتخذ في معالجة نشوز المرأة عدّة طرق حكيمة، ولم يعتبر ضرب الزوجة هو العلاج ككل، ولا هو أول خطوة للعلاج، وإنما كان أحد طرقه بل كان آخرها؛ قال تعالى: ﴿واللَّاتي تَخافُونَ نُشوزَهُنَّ فَعِظوهُنَّ واهْجُروهُنَّ في المضَاجِعِ واضْرِبوهُنَّ فإنْ أطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلا إنَّ اللهَ كان عَلِياً كَبِيراً﴾. (سورة النساء، الآية 34)

أما عن مواصفات الزوجة الصالحة الجيدة التي تحدثت عنها الأمثال الشعبية، فيقول هذا المثل: "الحُرَّة في كْلامْها تَسْتَغْفَرْ وفي لْباسها تْشمَّر والخايْبَة في كْلامْها تْعَتَّرْ وفي لْباسها تْجَرْجَرْ"، فالحرّة عكس الأمة (ابن منظور، 1981، ص829)، أي الطليقة، أما في هذا المثل فيقصد بها المرأة الكريمة، ذات الحديث الحسن والكلمة الطيبة والأسلوب اللّبق في الكلام. ويقصد بـ في لباسها تشمّر، المرأة النشيطة السريعة في قيامها بأشغال وشؤون بيتها، أما الخايبة فهي المرأة الفاشلة التي لا تحسن الحديث فتضطرب وتتراجع في كلامها، وتكون كسولة وخاملة في القيام بشؤون بيتها. أما المثل القائل: " إلّلي ما تعرفش تغسل الدوارة زواجها من ولد الناس خسارة وإلي ما يعرفش الذبيحة والسليخة زواجو من بنت الناس فضيحة "، فيجسد فكرة تقسيم العمل، فلكل فرد من أفراد المجتمع وظيفة يقوم بها، فذبح و سلخ الشاة من مهام ووظائف الرجل، وأمّا تنظيف وغسل وتحضير وطهي ما قام بذبحه وسلخه الرجل، فهو من مهام المرأة. وهذا التقسيم يمتد بجذوره إلى تاريخ أنظمة الإنتاج التي مرّ بها المجتمع البشري، فمرحلة الصيد التي مرّ بها الإنسان كان الأساس فيها القوة العضلية وما تنطوي عليه هذه العملية، لذلك كانت البداية لظهور النظام الأبوي الذي تخلت فيه المرأة عن حقوقها الاجتماعية مقابل الحصول على فوائد اقتصادية. وفي تلك المرحلة أصبحت المرأة لا توفر للرجل سوى حاجاته داخل المنزل، أي أنها أصبحت ذات دور هامشي في عملية الإنتاج، وعليه كان عليها القبول بوضع متدني في النظام العائلي. ومن هنا نشأت سلطة الرجل على المرأة ونشأت العائلة الأبوية، أي أنه ربط مكانة المرأة بدورها في عملية الإنتاج في النظام التاريخي، وهو اتجاه يتبناه التحليل الأنثروبولوجي في مراحل تطوير المجتمع البشري. (ضامر وليد عبد الرحمن، 2009، ص10)

أما هذا المثل القائل، والموجه أصلاً إلى المرأة فهي المكلفة بطهي الطعام: "طعامك ما جاني ودخانك عماني"، فالدّخان، يشير إلى أن الطهي في تلك الفترة كان على نار الحطب وهذا دالٌ على أن تاريخ ووقائع هذا المثل الشعبي يعود إلى زمن ما قبل الكهرباء والغاز.

فحسب الأمثال الشعبية، ونتاجاً عنها، أصبح من اللاّزم، أن يختار الرجل المرأة المواظبة على العمل، لكون تلك الصفة تمكنها من تحمل مسؤولياتها المرتبطة بتربية الأبناء وتدبير أحوال البيت وتلبية حاجيات الزوج والأولاد، أما غياب صفة العمل، فإنه يعتبر من النواقص التي تخلق صعوبة كبيرة في استمرار علاقة الرجل بالمرأة، وحذّرت الأمثال من الارتباط بالمرأة غير المكترثة بمسؤوليتها تجاه بيتها وأبنائها، ولقد عبرت الأمثال عن ذلك الإهمال بتوظيفها لنصوص متعددة مثل: "سبع أنسا والقربة يابسة" (علي أفرفار، 1996، ص71)، واستعمال العدد سبعة اتكاء على المقدس الديني، فللعدد سبعة قداسة في اللاوعي الجمعي الجزائري حيث نجد أثره في التقاليد الشعبية بكثرة، "غسلت وخلات رقبتها وكنست وخلات عتبتها"، و"ما تنصاب لصابية كي الدابة الخايبة".

ومن أراد أن يحسن اختيار زوجته فعليه أن يختار الزوجة البارعة والماهرة في قدرتها على رعاية بيتها دون الركون إلى غيرها، كما جاء في هذا المثل "المرأة الشاطرة تقضى حاجتها والخايبة تنده جارتها"، والخايبة التي لا تستطيع إدارة شؤون بيتها بمفردها، وأشارت الأمثال أيضاً للمرأة التي لا تهتم ولا تتفرغ لشؤون بيتها حيث تقوم بالتنزه والتجوال من بيت إلى آخر كما هو الحال في هذين المثلين: "المرأة لِّي طُّوف ما تغزل صوف"، و"خلات رَاجَلْها مَمْدود وُرَاحَت تْعَزّي في محمود"، أما هذا المثل فيقول:"الغزّالة تغزل على عود"، والغزّالة هي المرأة التي تغزل خيوط الصوف ووسيلة الغزل هي المغزل وإذا انعدمت وسيلة المغزل يمكنها أن تغزل بأي وسيلة أخرى، ويضرب هذا المثل لمن تتقن عملها وتعرف أسراره (عبد القادر قماز، 2007، ص89)، وجاء في نفس السياق هذا المثل: "الحاذقة تغزل برجل حمار والخايبة تغلب النجار"، أي أن المرأة النشيطة الماهرة تغزل كيفما كان المغزل، أمّا المرأة الفاشلة فتلقي اللوم على المغزل حتى حيّرت النجار في كيفية صنع مغزل يناسبها، والمرأة التي لا تتحمل المسؤولية الكاملة تختلق الأعذار وتلوم الآخرين فيقول هذا المثل " "المرا الخايبة تقول جيراني سحروا لي"، و رغم أن المجتمع يعتبر كسل المرأة وإهمالها لشؤون وأشغال بيتها من الأمور المذمومة، إلا أنه في نفس الوقت يعترف بمكانة المرأة كسيدة للبيت وبأهمية

الدور الذي تلعبه في بيتها، لكن هذا مقابل إهانتها وازدرائها كما يقول هذا المثل:"مولات الدار عمارة ولو كانت حمارة"، أو" لمرا عمارة ولو تكون حمارة"، فالحمار، في مفهوم المجتمع مرادف لكل الصفات السلبية، الذي غالبا ما يتم توظيف اسمه كوصف للغباء والبلادة واستطاعته تحمل شتى أنواع الضرب و الشتم والسبّ. كما أن الأمثال الشعبية لم تغفل عن دور المرأة في الحياة الاقتصادية، المتمثل في الحنكة وسداد الرأي وحسن التدبير كما جاء به هذا المثل: "الحرة إلا صبرت دارها عمرت"،أي أن المرأة بصبرها وعدم رحيلها من بيتها رغم فقر زوجها والأزمات التي تمر بها الحياة الزوجية فستنال في الأخير منزلة ورزقا.

ولم تهمل الأمثال الشعبية جانب الجمال في اختيار الزوجة، فرغّبت بالزواج من المرأة الجميلة حتى وإن كان الزوج فقيرا، "دّي الزين وقعد قدامو وإلا جعت شوف جمالو"، فذلك الجمال يكفيه وينسيه جوعه، والجمال الذي تحدثت عنه الأمثال الشعبية ذلك الجمال الطبيعي، الذي لم تحدثه وتصغه مستحضرات التجميل، كما يشيد هذا المثل: "شُوفْ الزين مين يْنُوضْ من نْعاسُو قبل ما يغسل وجهو ويمشط راسو". ومن جهة أخرى نجد الأمثال الشعبية تناقض تنويهها للزواج من المرأة الجميلة كما هو الحال في هذا المثل: " خنفوسة تلهيني ولا غزالة تعييني"، و"الفايدة ماهيش في الزين، الفايدة في الخلق والدين". و"الزين ما بنى خيام".

لم تكتفِ الأمثال الشعبية بامتداح المرأة الجميلة فقط، فالمرأة القبيحة أو متواضعة الجمال لم تسلم هي الأخرى من وصف الأمثال الشعبية، ففي وصفها يقول هذا المثل: "كُحْلكْ باطل، سواكك باطل، والله ما تدُخلي في الخاطر".

كما نصحت ونبّهت الأمثال الشعبية الرجل من المرأة، كذلك نصحت الأمثال المرأة وحذرتها من خداع وعداوة الرجل، فجاء في قول هذه الأمثال: "المْرا ما تدّي لا خوها لابُوها تدّي غير عْدُوهَا"، و"يا لي تَامَنْ الرْجال تامن المْاَ في الغُربَال"، والغربال يتكون من شبكة مصنوعة من ألياف الحلفاء ولها إطار، يُستعمل في فصْل الدقيق بعد طحْن الشعير أو القمح عن النخالة، والغربال التقليدي يعتبر عنصرا أساسيا داخل أي مطبخ في البيوت التيسمسيلتية.

تمثل الأم:

خلاف لجلّ الأمثال السلبية تجاه البنت ثم الفتاة والزوجة، نجد أن الأمثال الشعبية رفعت شأن المرأة وأكرمتها وعظمتها حين مثلت الأمّ، وهذا مما يبدي ويظهر تناقض نظرة المجتمع للمرأة، حيث نرى أنّ للأمّ مكانة عظيمة في الاعتبارات الاجتماعيّة فهي مصدر للحياة والمودة والحب، كما هو الحال في هذين المثلين:"ريحة أُمّا تْحْيِينِي لُوكان بسَمّ تَسقيني"،و"الأم حْبِيبَة لُو كَان تْكُون ذِيبَة"، فالأمثال الشعبية وقّرت وبجّلت الأمّ ونعتتها بمنبع العطاء دون مقابل وحضورها يشفي الآلام وبرضاها تذهب الهموم فيقول المثل: " كُلْ مَا زادْ هَمَّك بُوسْ رَاسْ امُّكْ". فللأمّ دور كبير ومهم في تربية أبنائها والحرص والخوف عليهم من التعرض لأي أخطار تواجههم، فهي تحيطهم بالعناية والرعاية بكل أشكالها، وعلى رأي هذه الأمثال: "لّي عندو امُّو ما تَرْقَد هَمُّو"، و"اللي عندو مُّو في البِيتْ خبزتو مدهونة بالزيت".

للأمّ منزلة جليلة سواءً في الاعتبارات الاجتماعيّة أو الدينيّة، فقد حثت الأمثال الشعبية على برّ الأمّ والإحسان إليها، من خلال التعامل معها بكل تواضع، ولطف، ورحمة، ومساعدتها بدون كلل، أو ضجر. وذلك من أجل الحصول على الثواب والأجر في الدنيا والآخرة، فجاء في هذا المثل:"ايلا بْغيت الدنيا تعطيك قيمة تْهَلَّى في الميمة"، حيث أورد الإمام مسلم في صحيحه عن الصحابي أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ - يعني: صحبتي، قال :أمك قال: ثم من؟ قال :أمك، قال: ثم من؟ قال :أمك، قال: ثم من؟ قال :أبوك (أبو فرج الجوزي، 1993، ص63).والمقصود بحسن الصحبة: حسن المعاشرة، والملاطفة، والإحسان والبّر، وذلك لأن الأمّ تحملت شقاء الحمل وآلام الولادة، ثمّ تعب الرضاعة والحضانة.كما أمر الله ببرّها ووصلها بالحسنى لقوله تعالى: ﴿وَقَضى رَبُّكَ أَلّا تَعبُدوا إِلّا إِيّاهُ وَبِالوالِدَينِ إِحسانًا إِمّا يَبلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُما أَو كِلاهُما فَلا تَقُل لَهُما أُفٍّ وَلا تَنهَرهُما وَقُل لَهُما قَولًا كَريمًا﴾ (سورة الإسراء، الآيتان 23-24)

أما غياب الأمّ سواء بطلاقها أو موتها، فهو الفاجعة الكبرى التي قد تصيب الأبناء، فتتركهم مبتوري القلب لا يعرفون معنى السعادة، والأمان، والحنان، والطمأنينة، فيقول هذا المثل:"لي ماتت امو يعطيه قبر يغمو"، و"الي خطاتو امو حجرة تسد فمو"، بمعنى أنه لا قيمة لحياة من تفارقه أمه. أمّا الأب، وحسبما ورد في الأمثال الشعبية، فبمجرد أن تموت الأم فيبدأ بالبحث عن زوجة أخرى وينشغل بحياته الجديدة، فلن يكون جناحه وكنفه رؤوفا ورحيما كالأمّ، فيقول المثل: "اللي مات باباه يتوسد الركبة واللي ماتت امو يتوسد العتبة"، وزوجة الأب لن تعوض مكان الأمّ هي الأخرى، فهي تعاني من صورة سلبية من لدن المجتمع باعتبارها امرأة بلا قلب مجردة من الإنسانية والعطف والحنان، والمجتمع يمقتها ويعتبرها بلاء وسخطاً من الله، كما جاء في المثل: "مَرْتْ الأبْ سَخْطَة من الرَّبْ لا تْحبْ وَلاَ تَنْحَبْ".

لكن أمام كل هذا التقديس والسمو للأمّ، فإنها تفقد حظوتها إن حدث وفارقها زوجها بسبب الطلاق أو الموت، فجاء في هذا المثل: "الهجالة ربّات فرد ما حرث، وربّات كلب ما نبح".

فالحصيلة أنّ تمثل المرأة كأمّ في الأمثال الشعبية، قد رفع من شأنها وكرّمها، لكن إن حدث ولم تنجب فإنها لم تحظَ بتلك الكرامة والتقدير، فالمجتمع يرمق المرأة العاقر بنظرة دونية ويعاقبها على أنها أرضاً جدباء ليس لها دور. وبما أن قوة المرأة ورسالتها في الحياة، بنظر الأمثال الشعبية، نابعة أساسا من قدرتها على الإنجاب، ليس الإنجاب فحسب، وإنما إنجاب الذكور لأنها حتى وإن أنجبت الإناث فستظل ناقصة في نظر المحيطين بها، ويضعها عقمها في خانة الضعف والعجز والإحساس بهما. فالمرأة، بالأساس، في مكانة منقوصة، فكيف بها إذا فقدت هذا الدور. ومن عُرْف مجتمعنا الجزائري أن لا يقبل الزوج، غالبا، بمثل هذا الوضع فيتزوج عليها أو يطلقها، وبذلك تفقد كل شيء. وعلى رأي هذا المثل:"لمرا بلا ولاد بحال الخيمة بلا وتاد"، فإنجاب الأطفال يضمن استمرار بقاءها في بيتها، كالأوتاد بالنسبة للخيمة، فالخيمة التي بدون أوتاد سرعان ما تفقد قوامها وتنهار بمجرد هبوب الرياح، و هكذا بالنسبة للمرأة العاقر.

كما تؤول مساكن ما قبل التاريخ (كهوف، أكواخ، قربي، ...)، قديما أو الحالية، ماديا ومعنويا إلى المرأة، المعتبرة منذ زمن طويل العنصر الوحيد المولّد للجنس البشري، كما تمثل البيوت عند سكان مالي جسم الإنسان، ويمثل غيرهم جسم المرأة، والسقف بكونه رمز الذكورة (فليب سيرنج، 1992، ص413). وأما في حالة ما إذا أنجبت البنات ولم ترزق بالذكر، فيقول هذا المثل: "الله يعزّ البيت لي يخرج منو بيت"، والمقصود في هذا المثل هو إنجاب الطفل الذكر باعتباره الضامن لاستمرارية وجود الأسرة والحامل لاسمها والمدافع عن مصالحها، فحسب ألفراد لويس دوبرمار Alfred louis de Premare:"لا يمكن للمرأة أن تتطلع إلى إدماج حقيقي إلا بفضل الطفل، وبالخصوص الطفل الذكر". (علي أفرفار، 1996، ص64)

تمثل المرأة العجوز:

إن تمثل المرأة العجوز في الأمثال الشعبية ظلّ مقصيا من القيام بدور إيجابي وهادف في المجتمع، فالأدوار التي تمثلتها المرأة العجوز في الأمثال الشعبية، نجدها دائما تقف مع قوى الشّر وضد قوى الخير. وحسب الأمثال الشعبية، فإنّ المرأة العجوز، تعرف بكيدها العظيم ودهائها الكبير، وشرّها ونفاقها والقيام بالأعمال السيئة، فتكون مخادعة، لدرجة تفوق الشيطان في خبثه، فيقول هذان المثلان: "اللي يخدموا بليس في عام تخدمو العجوزة في ساعة"، و"إلا شفت الشارفة بالتصبيح اعرفها شيطانة بالصحيح".فهي تثير المشاكل والفتن، فتفرق بين الزوجين، وبين الأصدقاء، وقد تنافس الشيطان في شرّه وتتغلب عليه ولذلك نصحت الأمثال الشعبية، بعدم الوثوق بها، فتقول: "لا تامن العجوز إذا تابت وصلات ودارت سبحة رقيقة، الي يخدمو الشيطان في عام تخدمو في دقيقة". و"معرفتك في الرجال كنوز ومشيانك في البرور رياسةْ، ومعرفتك فْلمرا العجوز إيّاك لا تقرب النجاسه".

جسدت الأمثال الشعبية الجزائرية العلاقة بين الحماة (العجوزة) والكَنّة، ووصفتها كأنها نزاع من أجل السيطرة والتحكم في المنزل، فجاءت مجموعة من الأمثال الشعبية الجزائرية، تفيد باستحالة حب الحماة لكنّتها، "إذا تفاهمت العجوز مع الكنّة يدخل ابليس للجنة"، و"مكتوب على باب الجنة عمرها ما تحب العجوز الكنّة"، فمن المستحيل أن يدخل إبليس الجنة، وإذا تحقق هذا المستحيل، فستحب الحماة كنّتها. عندما يتزوج الابن، تشعر الأم بفقدان ابنها الذي كان يمنحها كل الاهتمام والعناية، وهذا لحلول امرأة أخرى لدى ابنها يوليها ذلك الاهتمام. فالأم (الحماة) ترى أن ابنها ملك لها، والكنّة ترى هي الأخرى أن زوجها حق لها، فتكون نداً لحماتها، فيحتدم الصراع بينهما. وبقدر ما تكره الحماة كنّتها، تحب ابنها، يقول هذا المثل:"على ابنها حنونة وعلى مرتو مجنونة".

وتعبر الكنّة عن مدى كرهها لحماتها وعدم تحمّل وجودها بالبيت، فيضرب هذا المثل: "الكيّ بالنار ولا قعاد العجوزة في الدار"، أما الحماة فتعبر هي الأخرى عن استغنائها، وعدم حاجتها لزوجة ابنها فيضرب هذا المثل: "الله لا يخليني لليدين، الله يخليني غابة والناس حطابة"، فهي تدعو الله بأن لا يوكلها أو يحوجها إلى أحد، وأن يجعلها بصحة جيدة حتى تكون في مساعدة الغير.

5. خاتمة

استأثر موضوع التمثلات باعتناء العديد من الباحثين، كونها محل اهتمام مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية، وهذا لما تلعبه من دور أساسي في إنشاء الواقع الاجتماعي. ومن أجل تفسير هذه الصور والوصول إلى دلالاتها الاجتماعية، والقيمية والثقافية، لابد من الانتقال من اللفظي والخطابي المحسوس إلى الناتج الملموس الذي يقبل الفحص والكشف والاختبار. والتمثلات كموضوع للدراسة تسمح لنا بهذا، لما حظيت به من اعتناء العديد من الدراسات.

وتعتبر الأمثال الشعبية عصارة أفكار الشعوب وحكمتها ومن أبرز الموروثات السردية الشفهية، ومن أهم أنواع الثقافة الشعبية، وذلك لبساطة تداولها وتناقلها بين الأجيال، فهي بمثابة المرآة تعكس طبيعة الناس ومشاعرهم على اختلاف طبقاتهم،

فتكشف لنا عن معتقداتهم واتجاهاتهم وعاداتهم وتقاليدهم وقيم مجتمعهم، وخاصة فيما يتعلق بالمرأة، كونها موجودة بكثرة في الأمثال الشعبية. وبغرض تفسير دلالاتها، بما تقدمه لنا التمثلات من مآلات الأمثال الشعبية للمجتمع الجزائري عامة وتلك الخاصة بمنطقة تيسمسيلت التي نجد أنها شاركت بدور نافذ ومؤثر في تقديم تمثلات المرأة، فلقد بيّنت وأبرزت لنا الأمثال الشعبية منشأة المجتمع التي مَثَّلها وأبرزها الذكر المهيمِن، في قالب أو شكل محسوس، ملموس، من خلال نظرته للمرأة التي لا كيان لها إلا من خلال اندماجها داخله. فالمرأة في رؤيته مجرد كائن تابع له ويمتلكه، لا يستطيع الحياة بدونه، حيث قدمت الأمثال الشعبية صورا سلبية للمرأة بشكل لافت للنظر، لا توشك أن تفارقها، في كل سنوات ومراحل عمرها، وفي مختلف أدوارها (بنت، زوجة، أم، عقيم، زوجة أب، عانس، عجوز...)، وجوانب حياتها (الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية...). بينما لم تشغل الأمثال الشعبية التي تقدم صورا ايجابية، إلاّ مكانا محدودا، خاصة عند تمثلها لدور الأم. وبالتالي فمن خلال تبجيل المرأة تارة، وإهانتها تارة أخرى، تتذبذب المعاني والدلالات التي تؤول إليها الأمثال الشعبية، والتي تسيطر بصورة كبيرة على الكثير من أفراد المجتمع تجاه موقفهم ورؤيتهم للمرأة. فرغم أنها ذات الشخص إلا أنه يّنظر إليها وفق المكانة التي تشغلها في كل مرحلة من مراحل حياتها متأثرة بدلالات ورثها الأفراد من تنشئتهم الاجتماعية وغالبا ما تكون سلبية إلا في حالة الأمومة التي تستند على المكانة في حد ذاتها وليس على من يشغلها. مما يستوجب إعادة تفعيل دور الموروث الشعبي لترسيخ شخصية المرأة الجزائرية لما لها من دور في تجذير العلاقات الاجتماعية والقيام بدورها في نقل موروث المجتمع للأجيال. فلا يعقل أن تقوم بهذه المهمة كما هو مطلوب، إذا ما تمّ النظر إليها بدونية لما لذلك من تأثير سلبي عليها وعلى دورها الحاسم في الأسرة والمجتمع. وبهذه الطريقة فإن إعادة تفعيل الموروث الشعبي كفيل بإزالة الأحكام الخاطئة الموروثة، وتغيير التصورات الشعبية والأفكار الجمعية التي كونتها الأمثال الشعبية عن المرأة وفقاً للواقع الحقيقي والمكانة الجديدة التي أصبحت تحتلها المرأة الجزائرية، عن طريق إضافة أفكار وأمثال جديدة تعكس الواقع الجديد لها، وبالتالي، تنسى وتندثر تلك الأمثال التي تصبح، تبعا لذلك، لا تؤدي أية وظيفة، ولم تعد تجدي نفعا.

6. قائمة المراجع

- القرآن الكريم.
- الإمام مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، مؤسسة قرطبة طباعة-نشر-توزيع، مصر، 1994؛
- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، جمعه عبد الله علي الكبير و آخرون، لسان العرب، دار المعارف، مصر، 1981؛
- ادوار ويستر مارك ترجمة مصباح الصمد، صلاح صالح، هدى رطل، موسوعة تاريخ الزواج دراسة أنثروبولوجية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 2001؛
- جون سكوت، ترجمة محمد عثمان، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، 2009؛
- حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الفلكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، دار نشر المكتب الجامعي الحديث، مصر، 1993؛
- حسين محمد يوسف، اختيار الزوجين في الإسلام وآداب الخطبة، دار الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1979؛
- خديجة صبار، المرأة بين الميثولوجيا والحداثة، دار النشر أفريقيا الشرق، لبنان، 1999؛
- رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، دار الحضارة للنشر، الجزائر، 2016؛
- سهيل الحبيب، الأزمة الإيديولوجية العربية وفاعليتها في مآزق مسارات الانتقال الديمقراطي ومآلاتها، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2017؛
- ضامر وليد عبد الرحمن، التحليل الاجتماعي لوضع المرأة في الفكر العربي الحديث، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، الجزائر، العدد 2، 2009؛
- عبد الرحمن بن سعد الشثري، حكم تقنين منع تزويج الفتيات قبل سن 18 وتحديد سن الزواج، دار الفلاح، مصر، 2010؛
- عبد القادر خليفي، القوْل: المرأة والثورة التحريرية، إنسانيات، الجزائر، المجلد 25، العدد 26، 2004؛
- عبد القادر دحدوح، تيسمسيلت – محطات تاريخية ومواقع أثرية، منشورات السهل، الجزائر، 2009؛
- عبد القادر قماز، قطوف من التراث: قصص-حكم-أمثال-نوادر وألغاز، موفم للنشر، الجزائر، 2007؛
- عشراتي سليمان، الشخصية الجزائرية: الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009؛
- علي أفرفار، صورة المرأة بين المنظور الديني و الشعبي و العلماني، دار الطليعة للطباعة و النشر، لبنان، 1996؛
- علي عبد الواحد وافي، وأد البنات عند العرب في الجاهلية، الرسالة، مصر، العدد 400، 2015؛
- فليب سيرنج، ترجمة عبد الهادي عباس،الرموز في الفن- الأديان- الحياة، دار دمشق، سوريا، 1992؛
- محمد بن إبراهيم السيف، المدخل إلى دراسة المجتمع السعودي، دار الخريجي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 2010؛
- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي تقديم شاكر الفحام، الأمثال والحكم، منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، سوريا، 1987؛

ISSN: 1112- 9751 / EISSN: 2253-0363

- محمد عيلان، محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013؛
- مرسي الصباغ، القصص الشعبي العربي في كتب التراث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، 1999؛
- مرسي الصباغ، دراسات في الثقافة الشعبية، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، مصر، 2001؛

Moscovici, Serge., Psychologie des représentations sociales. Cahiers Vilfredo Pareto, 14, 1976, pp 409–